السكن في تلال مقدمة الريف وانعكاساتها على التنمية الترابية: حالة جماعة ابريكشة بإقليم وزان

Living in the Countryside front Hills of Riff and its Reflection on the Territorial Development: Brikcha region and The province of Ouezzan as a case study

هشام اتبر: دكتور باحث في الموارد الترابية والتنمية المحلية ومعلم التعليم الثانوي التأهيلي بوزان، وعضو بمختبر الدراسات الحضرية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز ، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، فاس.

HICHAM ETBER: PhD Researcher in soil resources and local development, teacher of secondary education qualification in Bouzan, and member of the Urban Studies Laboratory, Faculty of Arts and Humanities, Dahr El-Mahraz, University of Sidi Mohamed Ibn Abdallah, Fez.

Email: **hichamdoc01@gmail.com**

الملخص:

تشكل دراسة السكن مدخلا لمقاربة المجال القروي بكيفية شمولية، حيث أن السكن القروي يعكس نمط العيش باعتباره الطريقة التي تنظم بها مجموعة بشرية حياتها في وسط جغرافي معين. وتهدف هذه الدراسة للتعرف على نوع السكن السائد بالمنطقة وأهم التحولات التي عرفه، إضافة إلى العوامل التي ساهمت في تحوله.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أنَّ جماعة ابريكشة عرفت خلال مسارها التاريخي عدة أنماط من السكن، إضافة إلى تأثره بالظروف الطبيعية ونمط العيش السائد بالجماعة، ليخضع توزيعه إذن للعوامل الطبيعية كالتربة والماء والتضاريس والمناخ، إضافة إلى العوامل البشرية والإجتماعية والإقتصادية، وهي كلها عوامل ساهمت إما في تركز السكن أو تشتته، وانتشار السكن العصري واستعمال مواد البناء العصرية وتسرب أشكال عمرانية ومعمارية دخيلة على البيئة القروية المحلية.

أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها: ضرورة تثمين السكن القوي لاعتباره موردا ترابيا وتراثيا مهما، يمكن أن يضطلع بدور أساسي في تنمية الجماعة في السياحة القروية. وتأهيل المساكن الموجودة وبناء أخرى جديدة وفقا للخصوصيات المحلية تراعي تقنيات البناء واستعمال المواد التقليدية الخاصة بالمجال المحلي.

الكلمات المفتاحية: المجال القروي، السكن القروي، نمط العيش، المشهد الجغرافي.

Abstract:

The study of housing is framed by an approach of rural areas generally, where the rural residence reflects the housing style as a way to organise a group of peaple in thier life within a specific .Geographical center. This study aims at identifying the predominant style of housing in that area and the most important transformations known there moreover, it concentrates on factors which contribute to those transformations.

The study of housing is framed by an approach of rural areas generally, where the rural residence reflects the housing style as a way to organise a group of people in their life within a specific Geographical center. This study aims at identifying the predominant style of housing in that area and the most important transformations known there. Moreover, it concentrates on factors which contribute to those transformations.

The study reached a set of results and one of the main consequences is that Ashtouka territory knows over time many housing styles. In addition, there was an impact of typographical conditions. So, the style of living was distributed according to soil, water, terrain, and the climate. Furthermore, there were human, social, and economic factors that contribute either in the concentration of population or the spread out. As a result, the modern housing is widely spread through the use of modern building materials and adopting new urban forms which are extraneous to the local environment.

Besides, the study recommended a set of recommendations. First, it suggests strong housing valuation as an important earthly and heritage resource. The latter can play a basic role in the development of the region especially the rural tourism. Second, the study suggests the rehabilitation of the already existing housing or building new ones according to the local style of living where they use building techniques and traditional materials related to the local area.

Keywords: Rural area, Rural Housing, Living Style, Geographical Landscape

المقدمة:

عرف العالم تحولات مهمة عميقة متواصلة خلال القرن العشرين، همت كل من الجوانب السوسيو-مجالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها. كان لها دورا محوريا في التطور الذي وصلت إليه العديد من بلدان العالم الثالث، التي باتت تعرف اليوم انتعاشا كبيرا على المستوى الاقتصادي والعمراني، وما نتج عن هذا الأخير من تغيرات مجالية واضحة بالمدن، ولاسيما القرى والأرياف التي أصبحت تعرف أشكال مختلفة من التوزيع بحكم تعدد العوامل المتحكمة في هذا التوزيع، وهي عوامل طبيعية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وقانونية.

وقد شهد المغرب كباقي دول العالم الثالث تحولات عميقة، ارتبطت بالأساس بعامل الاحتلال الأجنبي، وما ترتب عنه من خلخلة للبنيات الاجتماعية والمجالية، همت أساليب الانتاج والبنيات العقارية وأشكال تنظيم المجال واستغلال الموارد الطبيعية مما أدى إلى خلق فوارق مجالية في توزيع الساكنة والأنشطة الاقتصادية. فأصبحت المدن تنمو بوثيرة سريعة في حين تعاني الأرياف من مشاكل مجالية كثيرة[1].

إن الاقتصاد المغربي اليوم يعرف تحولات نوعية على صعيد بنياته الإنتاجية والفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، وهذه التحولات تتميز بوعي جماعي بفكرة خلق آليات جديدة وملائمة لبناء مغرب قوي اقتصاديا ومتضامن اجتماعيا، وذلك في أفق رفع مختلف التحديات التي تطرحها عليه احتواء متطلبات التحديث الداخلي والانفتاح الخارجي في ظل العولمة من جهة، والإندماج داخل منطقة التبادل الحر مع الإتحاد الأوربي من جهة ثانية[1]. ذلك أن العولمة بمميزاتها المختلفة، تفرض المرور من الدولة القوية والمحاطة بشبكة من المصالح وجماعات الضغط والاقطاعيات التقليدية، إلى الدولة الاستراتيجية الذكية والقوية[2].

بناء على ما سبق، تبدو دراسة المجال القروي على مستوى الخلية السوسيو- ترابية المحاط أو الرستاق شرطا ضروريا، لأنها تمكننا من المعرفة الدقيقة بالخصوصية المحلية وبحاجيات السكان. ذلك، أن التغير الشمولي - بالرغم من أهميته - يخفي معطيات جزئية، لكنها ذات أهمية كبرى؛ إذ

[1] - إدريس الكراوي (1998): المغرب والمستقبل: تأملات في الاقتصاد والمجتمع، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ص8.

3- Sedjari Ali (2001): "Quelques questions sur la transformation du rôle de l'état, In quel état pour le 21éme Siecle? éditions 3 l'Harmattan- crêt, p23.

تعتبر أساسية في فهم المركب الداخلي للنشاط القروي، ولنزوع دينامية هذا النشاط، بل وفي فهم أعمق بنيات المجال والمجتمع القرويين[1].

الإشكالية:

عرف المجال الريفي بجماعة ابريكشة دينامية سكنية مهمة متباينة غيرت من المشهد الريفي بمركز الجماعة وفي بعض الدواوير القريبة من المركز وكذا المحاذية للطرقات، حيث شهدت انتشار السكن العصري واستعمال مواد البناء العصرية وتسرب أشكال عمرانية ومعمارية دخيلة على البيئة القروية المحلية، فيما يبقى معظم مجال المنطقة يغلب عليه طابع السكن الريفي المتشتت، غير أن تضافر مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية إلى جانب التقسيمات التي عرفها المغرب خلال فترات طويلة قد كان لها دورا في التحولات التي مست هذه الجماعة من ناحية السكن الريفي وشكله الخارجي وتصميمه الداخلي وأنواع تجهيزاته ومرافقه، والتوزيع المجالي والوظيفي من جهة أخرى.

انطلاقا من هذه الإشكالية تبرز عدة تساؤلات نجملها فيما يلي:

- ما العوامل التي انعكست على السكن في جماعة ابريكشة؟
- ما أنواع السكن الموجودة في المجال المحلي لجماعة ابريكشة؟
- ما هي أهم انعكاسات تشتت السكن على التنمية المجالية بجماعة ابريكشة؟

الفرضيات:

- كانت للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية انعكاسات على وضعية السكن بالجماعة.
- توجد بجماعة ابريكشة عدة أنواع من السكن مع سيادة السكن الهش.
- سيادة السكن المتشتت يعرقل و يقلل من فرص التنمية المجالية بجماعة ابريكشة.

منهجية الدراسة:

بما أن الظاهرة الجغرافية تتطور في الزمان، فقد استعان الباحث بالمنهج التاريخي بغية تتبع هذا التطور، سواء من حيث تاريخ تدخلات الدولة بالمجال، وكذلك مختلف الفاعلين من قطاع خاص ومنظمات المجتمع المدني. كما اعتمد أيضا على المنهج الاستنباطي الذي يجسد عملية الإنتقال من

[1] - جنان لحسن (2010): البحث الجغرافي بالمغرب: قراءة في الإشكاليات وفي المناهج، ورد ضمن دفاتر جغرافية، العدد 7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس، ص47.

الكل إلى الجزء، ثم المنهج الإستقرائي الذي ينطلق من الأحداث القابلة للملاحظة فيبدأ من الأشياء الخاصة لاستنتاج عام، بالإضافة إلى المناهج الكلاسيكية المعروفة كالمنهج الوصفي والكمي.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات أنجزت مؤخرا حول المجال المدروس، منها مشروع التنمية الترابية لبلاد وزان، والمخطط الجماعي للتنمية، إضافة إلى بعض البحوث الأكاديمية التي أنجزها الطلبة بمختلف الجامعات بالمملكة، ونذكر منها بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا للباحثة صفاء الزهري تحت عنوان الموارد الترابية والتنمية المحلية بإقليم وزان سنة 2015 وبحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا للطالب الباحث عادل الصافي تحت عنوان الموارد الترابية ورهان التنمية الترابية بإقليم وزان سنة 2012 و غيرها من البحوث التي تهدف إلى إنجاز تشخيص ترابي شامل ودقيق لواقع التنمية المحلية بالمنطقة، وذلك من أجل الوقوف على مكامن القوة والضعف، إضافة إلى الامكانات والاكراهات التي يتوفر عليها المجال.

سكن متنوع مع سيادة السكن الهش:

لقد طرحت المستوطنات البشرية بالوسط القروي إشكالية جد معقدة لكونها تلخص وضعية هذا الوسط بشكل عام، ويعتبر السكن القروي من أبرز المنشآت التي تطبع الأرياف المغربية ويشكل إحدى المكونات الأساسية للبنيات الفلاحية نظرا لتعدد وظائفه (إيواء الأسرة والماشية، حفظ المعدات الفلاحية، وخزن المنتوجات الزراعية) [1]، كما يعتبر ترجمته للحالة الإقتصادية لأغلبية السكان ومؤشرا على درجة تطورهم على المستوى الإجتماعي، فإلى حدود بداية التسعينات من القرن الماضي كانت 75% من الأسر الريفية تقطن بمساكن هشة[2]، هذه المستوطنات تختلف حسب الظروف الإقتصادية والإجتماعية والتاريخية لكل منطقة. فتطور السكن القروي مرتبط بكل المتغيرات المجالية والإقتصادية والإجتماعية والطبيعية وكذا السلوكية، وبالتالي فهو يعتبر معيار أساسي للتميز بين

[1]- المختار الأكحل (2004): أي منهجية للتدخلات العمومية من أجل التنمية المحلية بالمجالات البورية، حالة هضبة بنسليمان، ورد ضمن منهجية البحث في "الوسط الريفي المغربي"، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 113 ص 222.

[2]- فاطمة عاقل (1996): المستوطنات البشرية بين الواقع والأفاق "أشغال المائدة المستديرة الرابعة في مجال الحركية السكانية والتربية السكانية، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط، ص 25، 38. مؤلف جماعي.

مختلف الفئات الإجتماعية بمنطقة الريف الغربي[1]، كما يعكس بجلاء معطيات الوسط الطبيعي المتواجد به، سواء من حيث مواد البناء المستعملة إضافة إلى شكل البناء الذي يتكيف مع الظروف المناخية والموضع الذي يتخده تبعا للإعتبارات الأمنية وبطرق تنظيم المجال المحلي، حيث نجد السكان يستقرون في المناطق المرتفعة غير الصالحة للزراعة بهدف إستغلال المجالات المنبسطة في الزراعة، وبالتالي يعتبر هذا العنصر ظاهرة جغرافية نتجت عن انعكاس صادق لظروف البيئة والمجتمع.

أنواع السكن السائد بجماعة ابريكشة:

عرف السكن بالجماعة عدة تحولات نتيجة تداخل عوامل داخلية وخارجية، حيث كان في البداية بسيطا مبني بمواد محلية كالقصب وجذوع الأشجار ثم الأحجار إضافة إلى خليط من الطين والتبن ويسمى حسب المخيال السوسيوثقافي المحلي "بالمقدار"، ومع مرور الوقت بدأ هذا الصنف يتراجع شيئا فشيئا نتيجة ظهور فئة سوسيومهنية جديدة في الوسط القروي (خاصة في مركز الجماعة)، إضافة الى إرتفاع دخل بعض الفلاحين من جراء تعاطيهم لزراعة القنب الهندي، هذه التحولات نتج عنها ظهور أصناف جديدة من السكن بما في ذلك المزدوج والصلب فيما بعد، وذلك نتيجة إستعمال مواد وتقنيات جديدة الى جانب المواد الأصلية الطبيعية. وقد إتخد البناء بجماعة ابريكشة شكلين حسب مرفولوجية شكل القرى وتكوينها وإمتداد وحداتها السكنية، إذ نجد السكن المتشتت والمتجمع.

وهكذا يصبح المسكن من بين العناصر المهمة التي يمكن إعتمادها لدراسة واقع وأوضاع السكان، بإعتباره مؤشرا يمكن توظيفه لفهم هذا الواقع في أبعاده المختلفة، ولإبراز التناقض والتفاوت الإجتماعي بين الأسر من خلال طبيعة المساكن ونوعية وحجم ما تتوفر عليه من تجهيزات[(2)]، ويسود بالجماعة ثلاثة أنواع من السكن:

---

[1]-

4- محمد بودواح (2002): دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وأفاق التنمية بجبال الريف "نماذج من الريف الأوسط"، أطروحة دكتوراه ، الرباط: جامعة محمد الخامس، ص 279.

[(2)]المختار الأكحل -2004-: أي منهجية للتدخلات العمومية من أجل التنمية المحلية بالمجالات البورية، حالة هضبة بنسليمان، ورد ضمن منهجية البحث في "الوسط الريفي المغربي"، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 113، ص 222.

أ ـ **السكن المتجمع:** هو السكن الذي تتصل فيه المنازل ببعضها، ويمكن التمييز فيه ما بين السكن المتراص، والسكن المتراص المغلق والمفتوح، ويعتبر هذا السكن هو امتداد للساكنة القديمة، حيث أن السكان القدماء كانوا يسكنون متجمعين لاعتبارات عدة بينها الهاجس الأمني لمواجهة الأخطار المحدقة بالسكان، وكذلك للدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم وبالتالي نجدهم يستوطنون المرتفعات، أما الجانب الثاني فهو اقتصادي ويتجلى في ضعف الإمكانيات المادية وصعوبة الحصول على مواد البناء، حيث كانت تسكن العائلة الممتدة في مسكن واحد إلى جانب الماشية، وما يميز هذا النوع من السكن هو أنه يضم مجموعة من المنازل التي تنتشر فوق مساحة ضيقة، أما الطرق والممرات بهذه المنازل فهي تكون ضيقة وصغيرة، كما يدل في نفس الوقت على مدى ترابط العلاقات الإجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، وينتشر بالخصوص فوق أراضي غير فلاحية.

الصورة رقم 01: نموذج لشكل التجمعات السكنية وانتشار للسكن الصلب بمركز ابريكشة

المصدر: تصوير شخصي.

ب – السكن المتفرق: يكون السكن متفرقا عندما تكون البيوت منعزلة تماما عن بعضها تفصل بينها إما حقول أو مراعي أو أراضي غير مزروعة، ويمكن أن نميز فيه بين عدة أنواع: فهناك السكن المتفرق غير المنتظم، والسكن المتفرق المنتظم، ثم السكن المتفرق المتباعد، هذا النوع من السكن بدا ينتشر مؤخرا بشكل كبير، وهذا تكريس للتحولات التي أصبح يشهدها العالم القروي نتيجة الغزو الثقافي، إضافة إلى تحسن مداخيل السكان والرغبة في الإستقلالية، وهو تجسيد للتوسع الذي أصبحت

تعرفه الأسر النووية، ميزة قاطنيه هو طغيان النزعة الفردانية والمصالح الشخصية، هذا النوع من السكن ينتشر بعيدا عن السكن المجتمع وفوق أراض فلاحية خصبة وصالحة للزراعة، بفعل التزايد الديمغرافي، حيث أن كل شاب يتزوج فهو يرغب في بناء منزل خاص به، ميزته أنه سكن متناثر ناتج عن نزوح فئة سكانية شابة، وينتشر عموما في الأراضي الأقل إرتفاعا والأكثر قربا من المحاور الطرقية، و غالبا ما يكون ممثلا في السكن الصلب.

الصورة رقم 02: نموذج للسكن الهش المتشتت بدوار التيامة جماعة ابريكشة

المصدر: تصوير شخصي.

ج – السكن الهش: هو السكن الأكثر إنتشارا بالجماعة، لأن أغلب مواد البناء محلية وبسيطة وأقل تكلفة، وبالتالي فإن المداخيل الضعيفة للسكان وعدم قدرتهم على إقتناء مواد البناء بسبب أثمنتها المرتفعة وصعوبة إيصالها إلى الدواوير المرتفعة، من شأنها أن تجعل هذا النوع من السكن يفتقر إلى أبسط التجهيزات الضرورية للعيش، فإلى جانب سكن الأسرة نجد للماشية إسطبل أو زريبة وذلك من أجل مراقبتها. كما أن هذا السكن المتشتت يعرقل التنمية المجالية بجماعة ابريكشة، إذ لا يشجع الفاعلين الترابيين على تنمية الجال من خلال الربط المنازل بشبكة الماء الصالح للشرب والكهرباء وإقامة الطرقات والمسالك الطرقية والتجهيزات الاجتماعية العمومية والمدارس والمراكز الصحية.

الصورة رقم 03: نموذج للسكن الهش بدوار البلوطة جماعة ابريكشة

المصدر: تصوير شخصي.

د – السكن المختلط: يعكس مدى تحسن ورقي المستوى المعيشي للأسرة، وهو عبارة عن مزيج بين السكن الهش والصلب، حيث نجد المنزل مجهز من الداخل بالإسمنت لكنه مغطى بالزنك، أو نجد المنزل نصفه من السكن الصلب والنصف الأخر من السكن الهش وهذا التقسيم له دلالته، إذ نجد الماشية والخزين وباقي الأغراض الفلاحية تتواجد بالسكن الهش، بينما السكن الصلب نجده مخصصا للأسرة كالمبيت وإستقبال الضيوف، وهذا السكن ما هو إلا تطوير للسكن الهش ويعرف تطورا متزايدا، كما يعكس نسبيا الرغبة في التحول من نمط عيش تقليدي إلى نمط عيش عصري.

وعليه، يمكن القول بأن السكن الريفي يعتبر أحد أهم المنشأت فوق الحيازة الفلاحية نظرا للوظائف المتعددة التي يقوم بها، كما أن التجهيزات التي يتوفر عليها هذا السكن تعتبر من بين العناصر التي يمكن إعتمادها لدراسة وضعية الساكنة المحلية، بإعتبارهما مؤشرات تبرز التباين والتفاوت الإقتصادي والإجتماعي بين الأسر .

وتتوفر جماعة ابريكشة على أشكال متعددة من السكن، حيث انتقل من السكن الهش ذو الخصائص القروية، إلى سكن صلب ذو طابع حضري ، وهذا يعتبر من أبرز التحولات المجالية التي عرفتها المنطقة، وقد مس هذا التحول مركز الجماعة والمداشر القريبة منه والمحادية للطرق، وهي

عملية لا زالت مستمرة، حيث أصبحت المواد المستعملة في البناء حديثة، كما اختلف أيضا الشكل الخارجي والداخلي للمنزل .

صورة رقم 04: نموذج للسكن المزدوج بدوار الجابريين جماعة ابريكشة

المصدر: تصوير شخصي.

وفي الوقت الذي وصلت فيه التغيرات السكنية بمركز الجماعة وبعض المداشر الطرقية إلى مراحل جد متقدمة في اتجاه قطع الصلة بكل ما هو محلي واستبداله بالمستورد، وهو ما يجد ترجمته في التراجع الملحوظ للسكن الريفي أمام هيمنة السكن العصري، بالإضافة إلى بروز بعض الأنماط السكنية الجديدة ، التي تعكس مظهرا آخر من مظاهر التغير وهو التوسع العمودي للمسكن.

حيث يخصص الطابق الأرضي للحيوانات وحاجيات الاستغلالية، والطابق العلوي لسكن الأسرة، اتساع الغرف، انفتاحها على الخارج، تموضع الأثاث، التخصص الوظيفي للغرف (غرف استقبال، مطبخ، حمام، بنايات خاصة بالاستغلاليات الفلاحية، إسطبل، مستودع ...) إضافة إلى الكثير من التجهيزات المميزة للسكن في الأوساط الحضرية(فرن غازي، تلفاز مصحوب بجهاز استقبال، ثلاجة وتجهيزات كهربائية ...).

يمكننا أن نستخلص من خلال الجدول أن الارتفاع الكبير في السكن الصلب والمزدوج بجماعة ابريكشة والذي يمثل 46.7% راجع إلى التأثر بالسلوكات الحضرية ورغبة السكان في تحديث

منازلهم، إلى جانب التعدد الوظيفي للمسكن حيث يجمع ما بين إيواء الأسرة، ووظائف أخرى اقتصادية كإيواء الماشية وحفظ المعدات الفلاحية، ناهيك عن تخزين المنتوجات الزراعية.

تحولات المسكن القروي بجماعة ابريكشة

يعكس السكن التحولات التي يعرفها العالم القروي، على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فمنذ بداية عقد السبعينات، عرف المشهد القروي تغيرات غير مسبوقة في سرعتها وعمقها بسبب إقبال سكان الأرياف على مواد البناء الجديدة وتبنيهم للهندسة العصرية في تصميم منازلهم. كما أن المنزل القروي يظهر حاليا درجة توغل أنماط العيش الحضري في الأرياف: تجهيز المنزل؛ التوزيع الوظيفي لمكوناته؛ الأثاث؛ إلخ...

غير أن درجة التغير تختلف حدتها حسب المناطق؛ فالمناطق المجاورة للطرق والمدن الكبرى أو الواقعة على طول السواحل أو التي انطلقت منها الهجرة بكثافة نحو الخارج. والعكس صحيح بالنسبة للمناطق المنعزلة، حيث ما زالت تقنيات البناء التقليدية صامدة إلى حد ما.

الصورة رقم 05: نموذج للسكن المتوسع عموديا بدوار البلوطة جماعة ابريكشة

المصدر: تصوير شخصي.

ومن بين مظاهر التغيرالكبرى التي عرفها السكن بجماعة ابريكشة نجد: التوسع العمودي للمسكن، حيث يخصص الطابق الأرضي للحيوانات وحاجيات الاستغلالية، والطابق العلوي لسكن الأسرة؛ اتساع الغرف؛ انفتاحها على الخارج؛ تموضع الأثاث؛ التخصص الوظيفي للغرف (غرف خاصة، غرف استقبال، مطبخ؛ حمام، بنايات خاصة بالاستغلاليات الفلاحية: إسطبل، مستودع، مشغل مرفق أحيانا بمرأب)، إضافة إلى الكثير من التجهيزات المميزة للسكن في الأوساط الحضرية (سرير،

خزانة، فرن غازي، كنبات، تلفاز مصحوب في بعض الأحيان بجهاز استقبال، ثلاجة وتجهيزات كهربائية في حالة وجود كهرباء أو في حالة انتظار وصول الشبكة الكهربائية).

يتحول السكن القروي عامة وبجماعة ابريكشة خاصة تحت تأثير أربعة عوامل أساسية، هي: درجة انفتاح المجالات القروية؛ تقوية العلاقات بين المدن والأرياف؛ تدخل الدولة في العالم القروي؛ التحولات الاقتصادية التي تخترق البوادي؛ تحويلات المغاربة المقيمين بالخارج.

تحولات الاقتصاد القروي بجماعة ابريكشة:

عرف الاقتصاد القروي بجماعة ابريكشة تحولات عميقة، من أهم مظاهرها: مكننة الإنتاج؛ استعمال المخصبات والمواد الكيماوية؛ تكثيف الرعي؛ توسيع الري وتطوير تقنياته (الري بالتقطير والرش والري الموضعي)؛ تنويع المنتوجات؛ الانفتاح القوي على السوق خصوصا بعد إقبال الساكنة على زراعة القنب الهندي.

أفرزت هذه التحولات تراتبية اجتماعية جديدة: ملاكون كبار، متوسطون وصغار؛ فلاحون بدون أرض، عمال زراعيون؛ قرويون لا يعيشون من العمل الفلاحي؛ موظفون؛ متقاعدون، مهاجرون.

تنعكس هذه التحولات على المشهد القروي، وخاصة من خلال الأشكال التي يتخذها السكن. ذلك أن التراتبية الاجتماعية تقابلها تراتبية في الإطار المبني.

- **تحويلات المهاجرين**

ساهمت الهجرة بنوعيها، الداخلي والخارجي بدور كبير في التحول، فارتباط المهاجر بقريته الأصلية يدفعه إلى تحسين ظروف سكنه القروي وتقليده للسكن العصري باعتباره رمزا للنجاح الاجتماعي للمهاجر. وأصبح المنزل القروي قريبا من المنزل الحضري في ما يتعلق بمواد البناء المستعملة والهندسة المعمارية.

- **تشتت السكن وانعكاسه على التنمية الترابية بجماعة ابريكشة**

يبقى تشتت السكن بجماعة ابريكشة، بمثابة عائق أمام تحقيق مبادئ التنمية نتيجة هذا الانتشار المتنامي للمساكن في مواقع متباينة بشكل غير منتظم، إذ أن بعض المنازل تبعد عن بعضها البعض بمسافات كبيرة تتجاوز أحيانا أكثر من مئة متر، الشيء الذي يزيد الوضع حدة ويخلق متاعب عدة

للسكان كتفشي البطالة والفقر وقلة فرص الشغل على الصعيد المحلي بسبب العجز الكبير في المرافق العمومية خاصة الماء الصالح للشرب والصرف الصحي والكهرباء، الأمر الذي يعرض حياة العديد من الأفراد إلى عدم الاستقرار، وبالتالي تطلع جزء منهم إلى شد الرحال إلى مناطق جغرافية مختلفة.

كما يعكس السكن في هذه المنطقة اختلافات اجتماعية كبرى، هذه الاختلافات ناتجة عن تضافر مجموعة من العوامل، سمحت بحدوث خاصية تشتت المنازل بجماعة ابريكشة الشيء الذي يعرقل المسيرة التنموية، حيث يصعب التحكم في تنمية المجال نظرا لطابعه السكني المتشتت، الذي عرقل المسيرة التنموية بشكل جماعي.

الخاتمة:

يعتبر السكن عنصرا مهما داخل الحيازة الفلاحية، تختلف معالمه من منطقة لأخرى، و من حيث المساحة التي يشغلها داخل الحيازة الفلاحية، وهو معيار أساسي للتمييز بين فئات الفلاحين، لأن الفلاح الذي يتوفر على سكن عصري مجهز بجميع التجهيزات الضرورية وأحيانا الترفيهية، ليس كالأشخاص الذين يتوفرون على سكن هش يفتقد لكل الشروط الصحية، أو كالذين يتوفرون على سكن مزدوج (صلب وهش). وبالتالي فإن نوع السكن يعكس المستوى الإجتماعي لمالكه، وهكذا نجد أن السكن بجماعة ابريكشة يختلف مثلا عما هو عليه الحال بالمناطق السهلية، وذلك لتأثره بالظروف الطبيعية ونمط العيش السائد بالجماعة، ليخضع توزيعه إذن للعوامل الطبيعية كالتربة والماء والتضاريس والمناخ، إضافة إلى العوامل البشرية والإجتماعية والإقتصادية، وهي كلها عوامل ساهمت إما في تركز السكن أو تشتته.

وقد عرفت الجماعة عبر تاريخها عدة أنماط من السكن، هذا التعدد كانت ورائه عدة أسباب، إقتصادية، إجتماعية، وثقافية، فإذا كان السكن في البداية يعتمد في بنائه على بعض المواد التي كانت تنتج محليا، كالسقاف، إذ كانت معظم الأسر تقطن فيما يسمى "بالنوالة"، إلا أنه مع توالي السنوات سيعرف هذا النمط من السكن تحولا جذريا وخصوصا مع دخول الإستعمار، وتحسن مستوى الدخل لدى بعض الفئات الإجتماعية التي عملت على تطوير نوع السكن الذي تقطن به، هكذا بدأ يظهر سكن جديد يعتمد في بنائه على المواد المحلية مع إدخال مواد جديدة كالزنك، هذا الأخير سيعرف هيكلة جديدة نظرا لأدائه وظائف مختلفة تراعي حاجيات ومستلزمات السكان، و توفره على العديد من الغرف، هذا النمط من السكن الجديد يتميز بتعدد البيوت وعادة ما يكون على شكل مربع أو مستطيل تتوسطه في الداخل مساحة فارغة أو ما يسمى باللهجة المحلية (القور) وتشرف عليه البيوت جميعها، وهناك أماكن مخصصة لإيواء الماشية.

النتائج:

- تتوفر جماعة ابريكشة على أشكال متعددة من السكن، حيث انتقل من السكن الهش ذو الخصائص القروية، إلى سكن صلب ذو طابع حضري ، وهذا يعتبر من أبرز التحولات المجالية التي عرفتها المنطقة، وقد مس هذا التحول مركز الجماعة والمداشر القريبة منه والمحادية للطرق.

- هيمنة السكن المتجمع من النوع الهش، وهذه الوضعية ما هي إلا انعكاس لمجموعة من العوامل قد تكون طبيعة وتاريخية اوعوامل سياسية وإدارية وكذلك عوامل اقتصادية، كل هذا من خلال طبيعة التضاريس والتربة والمناخ، وكذلك البحث عن المواقع الآمنة (الحروب- كوارث طبيعية) وأحيانا تدخلات الدولة، فيما يتمثل العامل الاقتصادي في القرب من المسالك الطرقية والأنشطة غير الفلاحية...

- على الرغم من كون جماعة جماعة ابريكشة لا تساير التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها الوسط القروي المغربي، إلا أن مستوى التجهيزات المنزلية يعرف تطورا ملحوظا، وهذا بالطبع يعود إلى كون أن هذه التجهيزات فرضت نفسها على السكان نتيجة الانفتاح وتغلغل العولمة إلى أوساط العمق القروي المغربي.

- تماشيا مع التطور العام الذي يعرفه الوسيط القروي المغربي على مستوى التجهيزات المنزلية، فإن ساكنة جماعة ابريكشة هي الأخرى تعرف انفتاحا وتطورا مهما على مستوى هذا الجانب، إلا أنها تبقى دون المستوى المطلوب، الشيء الذي يفرض الدفع أكثر بتطوير تجهيزات منازل هؤلاء السكان، خاصة على مستوى التطهير السائل الذي يبقى إكراها حقيقيا يجبر السكان على التخلص من المياه العادمة بشكل عشوائي، الشيء الذي يترتب عنه انعكاسات سلبية على صحة السكان وعلى الوسط البيئي.

- السكن عنصرا مهما داخل الحيازة الفلاحية، تختلف معالمه من منطقة لأخرى، و من حيث المساحة التي يشغلها داخل الحيازة الفلاحية، وهو معيار أساسي للتمييز بين فئات الفلاحين، لأن الفلاح الذي يتوفر على سكن عصري مجهز بجميع التجهيزات الضرورية وأحيانا الترفيهية، ليس كالأشخاص الذين يتوفرون على سكن هش يفتقد لكل الشروط الصحية، أو كالذين يتوفرون على سكن مزدوج (صلب وهش).

قائمة المصادر والمراجع:

- المختار الأكحل (2004): أي منهجية للتدخلات العمومية من أجل التنمية المحلية بالمجالات البورية، حالة هضبة بنسليمان، ورد ضمن منهجية البحث في "الوسط الريفي المغربي"، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 113.

- الطاك بوطيب (1996): تحولات العالم القروي، المشهد الريفي كمقاربة مجالية حدودها وإمكانياتها، منشورات كلية الأداب بنمسيك، الداربيضاء.

- إدريس الكراوي (1998): المغرب والمستقبل: تأملات في الاقتصاد والمجتمع، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.

- جنان لحسن (2010): البحث الجغرافي بالمغرب: قراءة في الإشكاليات وفي المناهج، ورد ضمن دفاتر جغرافية، العدد 7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس

- فاطمة عاقل (1996): المستوطنات البشرية بين الواقع والأفاق "أشغال المائدة المستديرة الرابعة في مجال الحركية السكانية والتربية السكانية، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط.

- محمد بودواح (2002): دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وأفاق التنمية بجبال الريف "نماذج من الريف الأوسط"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس- الرباط.

- سعيد السباني (1997): الهجرة القروية وأثرها على التنظيم السوسيو مجالي للمدينة: حالة وزان "بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط

- نجلاء فجال -2006- السكن القروي بجماعة الورتزاغ إقليم تاونات. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل. القنيطرة.

- محمد بلفقيه -1988- أوليات في الجغرافية الزراعية.منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع صومابرو.

- Sedjari Ali (2001): "Quelques questions sur la transformation du rôle de l'état, In quel état pour le 21éme Siecle? éditions 3 l'Harmattan- crêt, p 23.